إسهامات المعارف والدراسات البينيّة في علم الدلالة

Contributions of knowledge and interstudies to the science of semantics

– عبد القادر قصباوي

جامعة أحمد دراية – ادرار (الجزائر)– الإيميل: abd.kasbaoui@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2022/01/04 تاريخ القبول: 2022/03/03 تاريخ النشر: 2022/06/10

ملخص:

تُسْهم المعارف والدراسات البِينيّة في التراكم المعرفي والدفع به نحو الأفضل، من خلال تطوير لغة الخطاب، وإثراء المداخل بين العلوم بمعارف جديدة، مع إدراكنا إن لكل علم خصيصته التي ينفردُّ بها، ومع ذلك تتداخل وتشترك العلوم في مداخل عامة لتطوير نفسها. الأمر ينطبق على هذه الورقة البَحْثية التي نبرز فيها أهمية المعارف البينيّة، من حيث تأثير الحقل الدلالي في متن اللغة من خلال خطاب داخلي متجل في علاقة حقل الدلالة باللغة والأدب، ما تعلّق بنظرية القراءة والتلقي والسيميائيات... وخطاب خارجي ممثَّلا في العلوم الأخرى "علم النفس، علم الاجتماع، الترجمة..."،

الكلمات المفتاحية: المعارف البينيّة-دلالة-العلوم الأخرى- خطاب خارجي- التأثير- التأثر.

Summary

Knowledge and studies contribute to knowledge accumulation and being better through development of speech language, enrich with new sciences, despite the fact that each science is special in itself. However, sciences have something in common as to exist and develop.

In this research paper, we are trying to show importance of knowledge through the impact of significance side in language through an internal speech , in which we clarify the relationship between significance field and language and literature as concerning reading, receiving...as well in the external speech for instance in other sciences like : psychology, sociology, translation...

Key words : Inter sciences -semantics - other sciences - external discourse- the influence - Being affected

المؤلف المرسل: عبد القادر قصباوي، **الإيميل**: abd.kasbaoui@univ-adrar.edu.dz

1-مقدمة:

يولد الإنسان مؤهّلا بقدرات فكرية تواصلية فيعمل على تطوير هذه المكتسبات انطلاقا من بيئته الأولى والمباشرة، وبطريق العلاقات البينيّة بين البيئات التي يفرضها منطق التعامل وحتمية البقاء يكيّف قدراته للتعامل معها في مجالات اقتصادية وثقافية واجتماعية وإنسانية، ولكل مجال خصوصيته من جهة والعلاقات بينه وبين المجال الآخر من جهة أخرى، والجامع بينهما هو تخطيط الفكر البشري، فبعد هذا التقديم الموجز يتسنى لنا الوقوف على نماذج علمية قديمة تمظهر فيها التفكير البيني من خلال منتوجها العلمي.

كانت السيَّادة في القرون السالفة للفكر الموسوعي الذي ينماز بعدم وجود حدود بين العلوم والمعارف الإنسانية، فنجد للعالم الواحد مؤلّفات في مجالات عدة؛ فكَتَب الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا(ت 428 ه)[1] في الفلسفة و المنطق من خلال مجموعة من المقالات في بيان فضله وفي تعريف اللفظ المفرد والمؤلَّف، وتوسَّع في الحديث عن الحكمة من خلال مؤلّفه "رديف الشفاء في الحكمة"وهو ما سمح له بالاضطلاع بالأمراض وعلاجها فكتب في الطب. أما عن "محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الإمام(ت 505 ه)[2] فكَتَب في الفلسفة من خلال "تهافت الفلاسفة" ومختلف القضايا التي طرحها، وباعُه في ميدان أصول الفقه جلي من خلال"المستصفى من علم الأصول" وفي المنطق من خلال"معيار العلم في فن المنطق" أما عن التصوف فكتابه" إحياء علوم الدين" أمَارة ذلك.

إلى جانب هؤلاء الذين كتبوا في مجالات عدة مُمنهجين كل مجال بمؤلَّف خاص نجد أعلاما كتبوا في مجال بعينه إلا أن كتاباتهم لم تخل من المعارف البِينيّة انطلاقا من موسوعيتهم التي مكَّنتهم من إيجاد معارف تخدم الأخرى يطالعنا "الخليل بن أحمد الفراهيدي"(ت 170 ه)[3] بمؤلف في أصول الكلمات بردّها لمظانها الأصلية، والذي بُني على معيار صوتي فسمّاه "العين"، تناول فيه النحو والصرف والصوت والتركيب، والأمر ذاته مع "أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر" (ت 180 ه)[4] في مؤلَّفه النَّحوي"الكتاب" المتعدد المعارف.

فاهتمت هذه المؤلَّفات بالمعنى مركّزة على العلامات اللغوية وغير اللغوية، ومن هنا يتجلى لنا الوِصَال بين علم الدلالة الذي يعدُّ المعْنَى ركيزته الأصلية، وبين مختلف العلوم والمعارف، وقبل أن نتبيَّن وطَادة تلك الصِلة نتعرّف على مفهوم الدراسة البينيّة.

02-مفهوم الدراسات البينية:

نحَت الكتابات المعرفية من التوسُّع إلى التضييق لأهميتها أحيانا؛ فالمعرفة المتخصصة من شأنها أن تفكِّك العام وتحلّله لإدراك أسرار الظواهر، وتكشف ما خفي منها خلال تحليل أجزائها التي تأخذ

وقتا وتستدعي التراكم والخلفيات المعرفية لظاهرة ما، ومختبرات متخصصة سواء في ميدان الطب أو الهندسة أو الجغرافيا أو المعارف الإنسانية، وإن كانت لهذه المعارف المتخصصة فوائدها، إلا أن إيغالها في التخصُّص الذي بات نزعة فمن اللسانيات إلى اللسانيات التطبيقية إلى اللسانيات الحاسوبية، جعل التخصص يميل للانعزال الأمر، الذي قد يؤثّر سلْبا على المعرفة وتكاملها وهو ما أنشأ« تخوَّفا متزايدا في الإيغال في نزعة تخصصية مبالغ فيها، إذ ينعزل أهل كل تخصص عن غيره منشغلين بالمشاكل والقضايا الخاصة دون الاهتمام بعلاقة المجالات القريبة أو البعيدة في حياة الإنسان ومحيطه عامة»[5].

قدّم القول السابق نظرةً استشرافية على خطر نزعة تخصُّص التخصص، وهو ما يمهِّد السبيل أمام أهمية المعارف والدراسات البينيّة التي تُغْفَلُ، ويكون أثرها بيّن في منعرج تلك المعرفة أو ذلك العلم خاصة مع الثورة التكنولوجية التي نشهدها والتي تؤكّد أهمية المعرفة البينيّة وخدماتها فما المقصود بالدراسات البينيّة "Interdisciplinary"؟. يمكن تبيان المراد بها من خلال الشكل التالي[6]:

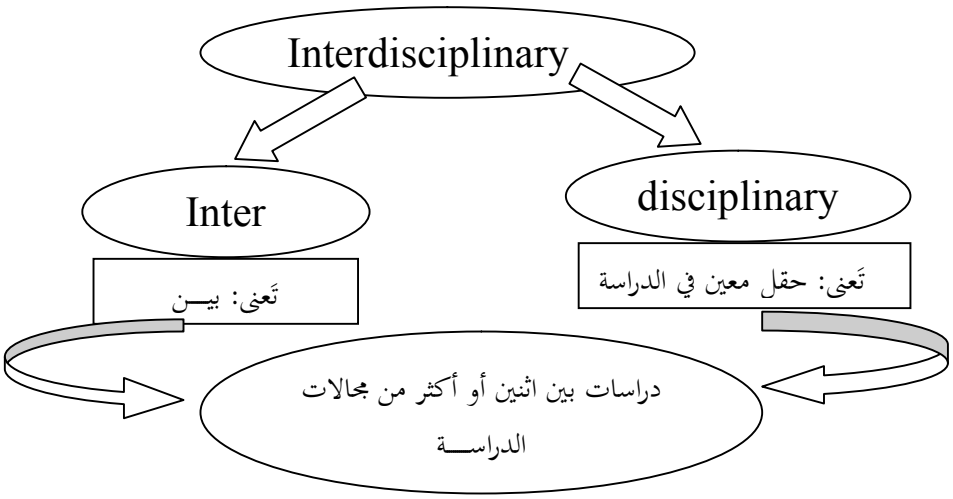

فمكونها التركيبي يتضمن حقلين معرفيين أو أكثر من ذلك مع اختلاف المجالات لتحقيق الأهداف، وهي التكامل المعرفي تأثيرا وتأثُّرا، وهو ما ذهب له "كلاين Klein ووليم William" سنة 2001م من خلال اعتمادها على حقلين أو أكثر من الحقول الرائدة؛ كون الغرض الرجوع بفائدة أو نتيجة أو حل لبعض المشاكل المعقَّدة أو إضافة جديدة لمعرفة سابقة لصعوبة التعامل مع معرفة ما عن طريق تخصص واحد[7].

قد يشوب المعارف الأكاديمية التقليدية نوعا من عدم الفهم فيتمُّ الاستنجاد بمعارف حديثة لتطعيم السابق فيكون التأثير والتأثُّر بين الحقلين على المستوين الداخلي والخارجي، وهو ما يُمْكِن إسقاطه على علم الدلالة، فهو علم قديم الموضوعات لدى علماء العرب وحديث النشأة من حيث مناهُجُه وآلياته التي يتم بها التحليل والإسقاط، وإلى هذا الطرح ذهب التربويون في تحديد مفهوم التخصصات البينيّة فهي« نوع من الحقول المعرفية الجديدة الناشئة عن عدة حقول أكاديمية أو مدرسة فكرية تفرضها طبيعة متطلبات المهن المستحدثة»[8] على أساس التلاقح المعرفي فتأتي الإفادة أكبر.

تُعنى الدراسات البينيّة بإيجاد حلول لمشاكل معرفية أو الإجابة عن تساؤلات معرفية من خلال الاستعانة بحقل آخر، وفي هذا الصدد يوضح "عمار بن عبد المنعم أمين" الفرق بين الدراسات المتعددة "Multidesciplinary" والدراسات البينيّة "Interdesciplinar" فيشتركان في إيجاد حلول لمشكلة ما، وتفتقر الدراسات المتعددة للتكامل الذي تنفردُ به الدراسات البينيّة؛ بهدف فهم أعمق للوصول لحقل معرفي متكامل، وقد قدَّم طرحاً يبيّنُ فيه البرامج التقليدية وبرامج الدراسة البينيّة[9] .

من خلال هذا الإطار المفاهيمي للدراسات البينيّة، يتأتَّى لنا التركيز على المعارف البينيّة، والعلاقة بينها وبين علم الدلالة من حيث التأثير والتأثُّر مما يحتمُّ علينا تعريف علم الدلالة.

03-مفهوم علم الدلالة:

تعدُّ الدلالة من المفاهيم ذات الصلة بحقول معرفية عدّة؛ كونها تدرس المعنى، الذي يعدُّ مرتكزَ مختلف المجالات المعرفية، وقد تعدَّدت نظرة اللغويين للمصطلح في جذره المعجمي، إلى جانب ذلك تضمّن النَّص القرآني لفظة الدلالة تَبَعا للسياق الواردة فيه، وهو ما سنتعرف عليه من خلال المفهومين، ليتسنى لنا بعدها الوقوف على المداخل البينيّة المشتركة بين علم الدلالة ومختلف العلوم والمعارف.

3-1/ المفهوم اللغوي:

جاء مصطلح "دلَّ" لدى الخليل بن أحمد الفراهيدي في عينه[10] يدلُّ على مصدر الدليل بالفتح والكسر نحو "دِلالة- أو دَلالة". واللفظة ذاتها وقف عندها ابن فارس في مقاييس اللغة[11] وقَصَدَ بها الإبانة عن الشيء ووضوحه بواسطة أمَارة تعلِّمه فهو بيّن الدلالة بالفتح أو الكسر للدال، وإلى معطى فتح الدال وكسرها ذهب أيضا الجوهري في الصحاح معبّرا بها عن الإرشاد.

ومن النصوص القرآنية الحاملة للفظة قوله تعالى:﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾[12] فالمرد بلفظة أدلُّكم؛ الإرشاد.

فقُصد باللفظة من وِجهة لغوية:

- الإبانة والوضوح، والإرشاد
- قد يكون الدليل رمزا لغويا، أو غير لغوي.

2-3/ المفهوم الاصطلاحي:

عرّفه الجرجاني وأراد به التلازم بين شيئين « كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر الأول هو الدال والثاني هو المدلول»[13] إذن فهو تلازم بين شيئين؛ بحيث تُعْلم حالة الشيء الأول "الدال" من خلال الآخر "المدلول"؛ إذن فالدال ما يتوصَّل به لمعرفة الأشياء مثل الألفاظ الدالة على المعاني، ودلالة الإشارات والحركات، سواء أقصد إليها لتدلَّ على المعنى المقصود، أم لم يقصد لها كحركات الإنسان الدَّالة على أنه حي.

ترتكز الدراسة الدلالية على المعنى وملابساته في مختلف سياقات الألفاظ، ناهيك عن الاهتمام بالرموز اللغوية وغير اللغوية، ودورهما في تأدية المعنى بُغية إقامة التواصل الناجح، وإلى هذا الطرح ذهب أحمد مختار عمر قائلا:«يكون موضوع علم الدلالة أي شيء، أو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز... تكون علامات أو رموزا غير لغوية تحمل معنى، كما قد تكون علامات أو رموزا لغوية»[14]؛ فاهتمام الإنسان بالرموز كان منذ القدم فغدتْ أداة تواصل بين الأجيال، بل بقيت شاهدا لمعرفة معالم الحضارات السالفة؛ كونها مرتبطة بالفكر البشري.

من خلال هذا المعطى الذي ينصبُّ حول عقْلِ المعنى وفهْمِه وإفهامه، تشترك مداخل معرفية متعددة في ذلك متمثلة في علاقة علم الدلالة بالمعارف اللغوية والأدبية، وهي علاقة داخلية وعلاقة علم الدلالة بالعلوم الأخرى وهي علاقة خارجية، فيمكن إطلاق مصطلح "المعارف البينيّة" على هذه العلاقات؛ لأنها هي التي أثْرَت الحقل الدلالي ودفعَت به نحو النُّضج أكثر من جهة، وتفاعل معها الحقل الدلالي ليثري هذه المداخل بمفاهيم تتماشى وتوجُّه كل علم ويمكن تفصيل ذلك في:

04-المعارف البينيّة الداخلية: ويمكن تمثُّلها في التخصصات المختلفة في اللغة والأدب، وتفاعل المعارف البينيّة بينها وبين علم الدلالة، ومن ضمن تلك المجالات المعرفية:

1-4 / الدلالة والتلقي:

نلمس التعالق الحاصل على مستوى الدلالة والأدب من خلال التلقي الذي يفتح المجال واسعا أمام التأويلات، من خلال اختلاف النظرة في إنتاجية النص تبعا لاختلاف متلقيه.

النص والتلقي في التراث العربي: يتوجب علينا في البداية الوقوف على النصوص القرآنية الدالة على اللفظة، وهو ما نرصده في آية الإفك في الرد على المنافقين في شأن عائشة –رضي الله عنها- قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾[15] وفي قوله أيضا:﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ﴾[16] فأريد بالتلقي الاستقبال بالأخذ والقَبول والعمل به، في دلالة للتفاعل الحاصل بين موسى وربه[17]، فكان باث ومتلقي ورسالة متلقاة.

تجلَّى الاهتمام بالتلقي وجمالياته في ثنايا كتب ومؤلَّفات القدامى، ويمكن استخلاصه من النصوص، ونمثّل لذلك بما ذهب له الجاحظ وابن قتيبة وعبد القاهر الجرجاني، إضافة لرؤية بعض النُّقاد في بعض النُّصوص الشعرية كتلك المتعلقة بالاستعارات والتشبيهات في شعر المتنبي، ومَكامِن الغموض فيها.

ذهب الجرجاني في أسرار البلاغة للحديث عن المعنى الشريف الذي يحتاج إلى إدامة نظر المتلقي، والوقوف على جنَبَاته مطوَّلا مشيرا إلى أن مُتْعَة التمتع بالجوانب الجمالية للنفس التي لا تتحقق إلا بعد كَلف وتعب يقول:« المعنى إذا أتاك ممثَّلا فهو في الأكثر لا ينجلي لك إلا بعد أن يُحْوِجك إلى غير طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له، والهمة في طلبه، وما كان منه ألطف كان امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر واحتجابه أشد، ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نَيله أحلَى، وبالمزيَّة أولى، فكان موقعه من النفس أجلّ وألطف»[18] مفرّقا بين دلالة النص الذي هو جانب جمالي يبحث عنه متلقي النصوص، وبين التعقيد المذموم، والفارق بينهما عدم ترتيب الألفاظ أو التعسف في ذلك.

إلى جانب الحديث المستفيض عن النَّظم عند الجرجاني؛ فهو توخ لمعاني النحو في التركيب للوصول لدلالة سليمة؛ ذلك أن التلقي لا يكتفي ببنية الجملة في التحليل، بل يتجاوز ذلك إلى بنية النّص واللغة الممثَّلة في تحليل الرموز وفهم دلالتها على نطاق واسع وهي معارف بينيّة يمدُّنا بها الحقل الدلالي، وقد ذهب "الجاحظ" للتدليل على أهمية اللغة الشفاهيّة بين المتكلم والمستمع، والتي قد تفسّر بعض الغموض الذي يكتنف الرسالة من خلال الاستعانة بالإشارات في المرسلة اللفظية، وهو ما نجده في النَّص المنقطع عن محيطه وحدثه الكلامي الأوّل، ومما أورده مقولة:« والكتابُ قد يفضلُ صاحبَه ويتقدَّم مؤلِّفَه ويرجِّح قلمَه على لسانِه بأمور منها أنّ الكتابَ يُقرأ بكلِّ مكان ويظهرُ ما فيه على كلِّ لسان ويُوجَد مع كلِّ زمان على تفاوتِ ما بينَ الأعصار وتباعُدِ ما بين الأمصار، وذلك يستحيل في واضع الكتاب»[19] فالمتلقي يحلِّل النَّص من خلال العلاقات المسهمة في اتساقه وانسجامه، بُغْيةَ إدراك الدلالات المنطوية تحته لخلق الانسجام العام للنص، فأي اختلال سواء على مستوى الرسالة أو المتلقي أو المؤلّف يؤدي لتغيُّر في الإنتاج، وهنا تتمثل وطَادة العلاقة بين الدلالة والتلقي.

4-2/ الدلالة والقراءة: أصل لفظة "القراءة" في معاجم اللغة[20] من "قَرَأَ"، بمعنى الجمع والضم والتتبُّع ومنه قولنا أقْرَيْتُه؛ أي جعلته يَقْرأُ المواضعَ يتتبعها وينظر أحوالها، ومنه القُرْآنُ فقولنا قَرَأْتُ الشَّيء قُرْآنا؛ بمعنى جمعْتُه وضَمَمْت بَعضه لبعض، ومما جاء في لسان العرب" ما قَرَأَتْ هذه الناقة سلى قطُّ

وما قَرَأتْ جَنِيْنَا؛ أي لم يَضم رحمها أي ولد"، فالقراءة تقتضي رصف الكلمات بعضها لبعض على نسق مرتب لتتم الإفادة بها، وهو ما يتجلى على مستوى النص؛ فالقراءة نسقين"ملفوظ ومكتوب" وفي شقيها تفيد الجمع والضم والترتيب .

عرف مصطلح "القراءة" في النَّقد في العصر الحديث تفاعلا بين الكاتب الذي هو القاريء الأول والقاريء الثاني وإملاءات كل منهما؛ الأول فيما يكتب والثاني فيما ينبغي أن يقرأ وكيف يقرأ لتكوين إنتاجية قرائية، والغرض من ذلك حصول الفهم، إذن فالقراءة «سلوك حضاري فكري ذهني جمالي ثقافي هي عادة متحضرة هي دأب متأصل، وهي مثاقفة واعية هي ما يمكن أن نطلق عليه نحن في لغتنا الخاصة"مقارءة" أو هي كما يعبّر عنه بعض الغربيين تناص»[21] فبذلك تكون مرجعية القراءة كفعل للباث والنّص والمتلقي أو القاريء، وقد صنّف"أيزر فولفغانغ" القاريء لدرجات تبعا لمقدرته على التجاوب مع المقروء، انطلاقا من خلفياته التي يُفَتّت بها النصوص"القاريء الضمني، والحقيقي والمثالي" وصولا للقاريء المحب، فهو لا يهتم لردود فعل القراءة، بل ينصبّ اهتمامه على معالجة النص متكلما كفئا باللغة التي ينشأ عليها النص يقول في هذا الصدد: « يكون متمكنا من المعرفة الدلالية، وهذا يشتمل على المفردات أي الخبرة بوصفها شيئا منتجا ومفهما معا لأوضاع معجمية واحتمالات تنظيمية ولهجات خاصة ولهجات أخرى... وتكون له ثقافة أدبية»[22] فللقاريء الفعّال شروط من ضمنها الخبرة والخلفية التي يلِجُ بها النصوص مشتملة على الجانب المعجمي والدلالي للإلمام باللهجات، وحتى تكون القراءة مُنتجة ونقدية يؤثر من خلالها على المشهد اللغوي النقدي.

إضافة لذلك السِمات العروضية المهمة في المنطوق المقروء"النبر والتنغيم" ولهذا الأخير درجات وجاء تركيز"بالمرPalmer" على النغمات المرتفعة «استعمال التنغيم المرتفع للتعبير عن السؤال، كما أن أي ناطق بالإنجليزية أو العربية يستطيع أن يدرك الاستثمار الكبير للتنغيم في تشكيلة واسعة من الأغراض وخاصة من النوع الموقفي»[23] فهو موقف كلامي يعجز المكتوب عن إدراك دلالته، مما يستدعي التوقف أحيانا عند النغمة للفهم.

4-3/ الدلالة والسيميائيات:

مردُّ المصطلح إلى« *Sèmeion* بمعنى العلامة و *Logos* بمعنى الخطاب أو العلم فتصبح اللفظة *Semiologie* علم العلامة؛ فهو يُعْنَى بدراسة العلامات اللسانية وغير اللسانية ودراسة العلامة بأنماطها المختلفة في حياة المجتمع أو تلك الأنظمة التي تمنع قابلية الفهم للأحداث والدلالة بوصفها علامات دالة تحمل معنى ما»[24]

فإسهامات المعارف البينيّة بين علم الدلالة والسيميائيات تتبدَّى في دراسة العلاقات، وإن تعددت واختلفت الآراء حول تحديد مصطلح السيميائيات؛ لاختلاف التوجُّهات والآراء فيه بدءاً من دي

سوسير لما حدّده، وقد وضَّح ذلك "محمد حسن" أثناء حديثه عن تأثير آراء سوسير في العلوم والمعارف التي أتت بعده قائلا:« وقد أثَرْتُ مصطلح "علم العلامات" Semiology وذلك لأن موضوعه كما يفهم من سوسير هو العلامات Signs ومصطلح علامة Sign؛ يعني كل ما يمثل شيئا آخر فيستدعيه وينوب عنه، وهو بهذا المعنى يشمل كل العلامات طبيعية أو عرفية»[25] فالعلامة التي قصدها "دي سوسير" مندرجة ضمن الحياة الاجتماعية من منطلق عرفي أو طبيعي، ليعرف المصطلح تطورات مختلفة من حيث المفهوم تبعا للمدرسة الوصفية والتوليدية .....

إذن فالعلامة لدى "سوسير" مكوّنة من "دال ومدلول" عالم خارجي وذهني، إلا أن العلامة عند "بيرس ساندريس" من خلال الاستقراء تتجلى على مستوى هذا النص:« يمكننا أن نستخلص من نصوص "بيرس" أن مركز العلامة عنده هو الصورة الذهنية، وليس الشيء الذي يحيل نفسه... إنَّ إحالةَ علامة ما إلى علامة أخرى يمكن أن يصوّر شبكة لا نهائية من العلامات التي تترابط فيما بينها بمختلف أنواع العلاقات»[26] وإن اختلفت وجهة بيرس وسوسير إلا أنهما يشتركان في نقطتين مهمتين:

01-العلامة شيء يمثل شيئا آخر في الذهن.

02-العلامة تشمل الطرفين المشير والمشار إليه؛ فالمعنى متمم لها.

أما "رولان بارت" فيرى أن السيميائيات توسِّع منظورها ليشمل جميع أنظمة الدلالة الأخرى، وإن كان منطلقه من الثنائيات، إلا أن نظرة السيميائي تتشابه وتختلف عن اللساني، وهو مربط الفرس بين السيميائيات والدلالة، ويمكن توضيح ذلك في:[27]

اللغة والكلام من منظور لساني سيميائي: فرّق دي سوسير بين ثلاثة مصطلحات أساسية اللغة Langage واللسان Langue والكلام Parol؛ فاللغة ظاهرة إنسانية، وهي بمثابة القاموس الذي يمثل الذاكرة الجماعية لفئة جماعية معينة، فاقتضى من ذلك تجريدها كونها موجودة على مستوى الأذهان والتصوّرات، فإذا أراد شخص ما أن يتحدث في موضوع معين فهو ينتقي من ذهنه مجموعة معينة من الفونيمات، ليتم تجميعها على مستوى الذاكرة على شكل كلمات ثم ترتيبها في شكل مؤلَّفات جمل، فيتم التواصل من منطلق الفهم الحاصل، ولا يكون ذلك إلا من خلال تراكمات معرفية عبر الأزمان ضمن عقد .

السيميائيات لا تفرق بينهما، فيستحيل أن تجد لغة من دون كلام باعتبار تعاقبهما، ومن أمثلة ذلك، الثوب لما تصفه محلات بيع الأزياء يتضمن اللغة من حيث هو إبلاغ أو رمز ولباس، وكلام من حيث هو إبلاغ شفهي.

لتلتقي السيميائيات والدلالة من حيث التواطؤ في تسمية الأسماء لمسمياتها« وهذا يقودنا لاغتراف الكلام من مخزون اللغة المتواضَع عليها، وفي ذلك دلالة لارتباط بينهما فقد تقودنا الحاجة للتوليد»[28].

الدال والمدلول من منظور لساني سيميائي: تأتلف العلامة السيميائية مع اللسانية « إنهما مركبتان كنموذجيهما من دال ومدلول هذه الوظيفة رهينة بالاستعمال ..... وهذا الاستعمال مشروط بحلول وقته وأوانه وهذا الوقت والآوان ليسا شيئا غير علامة لهذا الاستعمال»[29] فقد يحصل أن تكون العلامة غير لغوية تتضمن دالا ومدلولا؛ فالمظلات أو المعاطف لا تستعمل إلا في زمن الشتاء أو البرد، فتكون العلامة غير اللغوية مجيء الوقت ومدلولها "ارتداء المعاطف"، مركزين على البعد الوظيفي في العلامة اللسانية، فارتداء المعطف دال على حالة مناخية؛ فالدال والمدلول لا يرتبطان وينتجان الدلالة إلا في سياق محدد، باعتبار أنّ المعطف علامة سيميولوجية لا أهمية له إلا في وقت محدد « وهو ما ركن له "بارت" في الدليل السيميولوجي مقابلا للدليل اللساني، فرغم تكوين الأولى والثانية من دال ومدلول إلا أنه ركّز على الاستعمال لها في سياق محدد وليس بالضرورة أن تكون قولية»[30].

05-المعارف البينيّة الخارجية: وتتمظهر في معارف العلوم الأخرى وإمداداتها البينيّة مع علم الدلالة تأثيراً وتأثراً ويمكن تلخيصها في:

5-1/ الدلالة والفلسفة: نستهلها بمقولة لأحمد مختار عمر «إنك لا تستطيع أن تقول متى تبدأ الفلسفة وينتهي السيمانتيك، وما إذا كان اعتبار الفلسفة داخل السيمانتيك أو السيمانتيك داخل الفلسفة»[31] في إشارة للتداخل الكبير بينهما فيكون علم الدلالة إجابة عن بعض التساؤلات الفلسفية تماما كتلك الرؤية حول علاقة الأسماء بمسمياتها في محاورة كراتيليوس وهو ما يوضحه هذا القول:« ذلك أن هذه المحاورات ، بصفة عامة قد غلب عليها المضمون الأخلاقي، في حين أن الموضوع الأساسي لمحاورات كراتيليوس هو أصل اللغة والأسماء»[32] فبنزعة فلسفية كان الوقوف على عديد المسائل ذات الصلة بالمعنى مثل التصوّر، المجرّد، والخطابة، وهي التي وقف عنده السوفسطائيون واعتمدوها مطيّة للفهم، وأعطاها بعدا آخر "أرسطو" واقفا عند مختلف الاستعارات والكنايات.

5-2/ الدلالة وعلم النفس: لا ننكر أن بداية دراسة المعنى كانت في اتجاه نفسي، وهو ما أشار له "شارل موريس" متناولا العلامات ومدلولاتها في تجربة "بافلوف"، ودورها النفسي في سيلان لعاب الكلاب، ومن ثمَّ يأتي اهتمام علماء النَّفس بالإدراك مطوّرين وسائله يقول أحمد مختارعمر: «حيث كان الإدراك ظاهرة فردية فقد طوروا وسائل ليعرفوا بها كيف يختلف الناس في إدراكهم للكلمات»[33] ناهيك عن الخدمات التي تقدّمها الدلالة لمكتسبي اللغة، وأوجه الدلالات التي يوحي بها الطفل في تحركاته وإيحاءاته، من خلال تحليلها للوقوف على مدى سلامته، ومدى مقدرته على تشكيل خطاب سليم.

5-3/ الدلالة وعلم الاجتماع: اللغة بنت البيئة التي تترنَّح في كنفها، وهنا يكمن التلاقي المعرفي البيْني بينهما؛ من حيث تفسير سلوك اجتماعي معين ورموزه ودلالاته التي تختلف من مجتمع لآخر[34] فاللون

الأسود دلالة على الحزن لدى المجتمعات العربية، وفي مجتمعات أخرى يدل على الفرح، والرقص في المخيلة العربية أمَارة على الفرح، في حين أن رمزية وطقس الرَّقص بالنسبة لمجتمعات أدغال إفريقيا يكون على الجثث الميتة أو المقتولة في إشارة للانتصار ومن ثَمّ الفرح؛ فللحالات الاجتماعية والجانب الانثربولوجي تلاقي كبير بينه وبين تحليل الرموز وإفراز دلالتها.

4-5/ الدلالة والترجمة: وقد أشار لذلك خليفة بوجادي فيما نصه:« ويكون ذلك حالما تحتاج الترجمة لبعض الألفاظ للتعبير بها عن ذات المعنى في اللغة المترجم لها فقد يستعصي ذلك»[35] وهنا يفسح المجال لإيجاد معنى مشترك بينهما، يمكن من خلال ذلك حل الإشكال وخاصة ألفاظ المعاملات ذات الصبغة العاطفية مثل ألفاظ التلطف، وألفاظ ذات إيحاء دلالي قوي فيتحفظ عن استعمالها كتلك المندرجة ضمن اللامساس.

6-خاتمة:

- تُعنى الدراسات البينيّة بإيجاد مداخل معرفية بين التخصصات، من شأنها أن تثري التداخل المعرفي بين هذه الحقول، والغرض من ذلك تطوير العلوم لتساير الواقع والحياة اليومية.

- تهتمُّ الدراسة الدلالية بالمعنى سواء أكان لغويا أم غير لغوي، فتؤثر في مجموعة من المعارف الداخلية والخارجية، وتتأثر بها أيضا وهو مرتكز الدراسات البينيّة.

- تبرز وطَادة المعرفة البينيّة بين التلقي والدلالة، على مستوى تفكيك الرسالة بين"الباث والمتلقي"، وما تتضمنّه من رموز لغوية، وكيفية تحليلها للوصول لإنتاجية نصيّة.

- يأخذ فعل القراءة من الدلالة المعاني التي تفرز عن كيفية قراءة المتلفظ، مثل النبر والتنغيم ودلالتهما.

- من المجالات المعرفية البينيّة المهمة علاقة الدلالة، بعلم النفس وعلم الاجتماع؛ فالإنسان ابن بيئته ومجتمعه فيعبّر عن مدلولات الألفاظ تبعا للتواضع، وتَبَعاً للدوافع النفسية السلوكية التي تُضْفَى عليها؛ فنجد اختلاف مدلولات الألفاظ من مجتمع لآخر نتيجة تأثير نفسي.

- وأخيرا للمعارف البينيّة أهميتها سواء بين علم الدلالة وحقلي اللغة والأدب، أو بين علم الدلالة والعلوم الأخرى، وتأثير ذلك في إثراء الرصيد المعرفي لهما؛ فمن خلال المداخل المعرفية بين التخصصات نبتعد عن خطر الانزواء التخصصي، ونقلّل من الفجوات بين العلوم والتخصصات؛ فالمعرفة متكاملة.

7-الهوامش :

1 الشفاء"المنطق"، لابن سينا، تح الأب قنواتي، محمد الخضيري، فؤاد الأهواني، المطبعة الأميرية القاهرة مصر، 1317هـ- 1952م، ص15، وينظر أيضا: الفكر الصوتي عند ابن سينا، آمنة مالك، الآداب -مجلة أدبية فكرية محكمة تصدر عن معهد الآداب واللغة العربية، جامعة قسنطينة، العدد04، 1418هـ- 1997م، ص168.

2 المستصفى من علم الأصول، أبو حامد الغزالي، دراسة وتحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان،ط 01، 1413هـ-1993م،03/1.

3 كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1424،01هـ-2002م، 08/1.

4 ينظر: الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة مصر، ط02، 1408هـ-1988م، 05/1.

5 دليل الدراسات البينيّة العربية في اللغة والأدب والإنسانيات، مركز دراسة اللغة العربية وآدابها، فهرسة وتمهيد نور الدين بنخود، ص 08.

6 ينظر: الدراسات البينيّة، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، وزارة التعليم، 1438هـ - 2017م، ص 06.

7 ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

8 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

9 ينظر: الدراسات البينيّة رؤية لتطوير التعليم الجامعي، عمار بن عبد المنعم أمين، عميد كلية علوم الأرض جامعة الملك عبد العزيز، ص02.

10 ينظر العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،08/8.

11 ينظر مقاييس اللغة، ابن فارس، تح عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، 1423هـ، 2002م، 211/2.

12 سورة القصص، الآية 12.

13 ينظر: الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، 1978، ص 109.

14 علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة، مصر، ط 05، 1998، ص11.

15 سورة النور، الآية 13.

16 سورة البقرة الآية 37.

17 ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي، أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 92/1.

18 أسرار البلاغة ، الجرجاني، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، طبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، السعودية، ص139

19 الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت لبنان، 1416هـ-1996م، 85/1.

20 ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت لبنان، ط 01، 128/1.

21 نظرية القراءة، عبد المالك مرتاض، دار الغرب للنشر، وهران الجزائر، 2003م، ص 101.

22 فعل القراءة، فولفغانغ أيزر، تر حميد لحميداني، الجلالي الكدية، مكتبة المناهل، المغرب، 1995، ص 25.

23 علم الدلالة، آف.آر. بالمر، تر مجيد عبد الحليم الماشطة، منشورات كلية الآداب الجامعة المستنصرية، 1985م، ص 180،182.

24 ينظر: مجلة جامعة دمشق، سوريا العدد الثاني، المجلد 18، 2002، مقال بعنوان: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت" لوائل بركات، ص 56.

25 سوسير رائد علم اللغة الحديث، محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي القاهرة، مصر، ص 126.

26 أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة "مدخل إلى السيميوطيقا"، إشراف سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، دار الياس العصرية، القاهرة مصر، 1986م، ص 173.

27 ينظر: محاضرات في السيميولوجيا، محمد السرغيني، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ط01، 1407هـ 1987م،ص 21.

28 ينظر: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة "مدخل إلى السيميوطيقا"، إشراف سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، ص 22.

29 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

30 ينظر مجلة جامعة دمشق، سوريا، مقال بعنوان: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت" لوائل بركات، ص 63.

31 علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا،2001م، ص 15.

32 أفلاطون محاورة كراتيليوس "في فلسفة اللغة"، ترجمة وتقديم وتحليل عزمي طه السيد أحمد، ط1995،01، منشورات وزارة الثقافة، عمان الأدرن، ص15.

33 علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 16.

34 ينظر: محاضرات في علم الدلالة، خليفة بوجادي، بيت الحكمة سطيف، الجزائر ط 02، 2012، ص86.

35 ينظر :المرجع نفسه، ص 87.

8–قائمة المراجع :

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1) أحمد مختار عمر،علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة، مصر، ط 05، 1998.
2) أفلاطون، محاورة كراتيليوس " في فلسفة اللغة"، ترجمة وتقديم وتحليل عزمي طه السيد أحمد، ط1995،01، منشورات وزارة الثقافة، عمان الأدرن.
3) آف.آر. بالمر، علم الدلالة، تر مجيد عبد الحليم الماشطة، منشورات كلية الآداب الجامعة المستنصرية، 1985م.

4) الجرجاني، أسرار البلاغة ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، طبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، السعودية.
5) أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دراسة وتحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان،ط 01، 1413هـ-1993م.
6) خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكمة سطيف، الجزائر ط 02، 2012.
7) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1424،01هـ-2002م.
8) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
9) سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة مصر، ط02، 1408هـ-1988م.
10) سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد ، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة "مدخل إلى السيميوطيقا" ، دار الياس العصرية، القاهرة مصر، 1986م.
11) - الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، 1978.
12) عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، دار الغرب للنشر، وهران الجزائر، 2003م.
13) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت لبنان، 1416هـ-1996م.
14) عمار بن عبد المنعم أمين، الدراسات البينيّة رؤية لتطوير التعليم الجامعي، عميد كلية علوم الأرض جامعة الملك عبد العزيز.
15) ابن فارس، مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، 1423هـ، 2002م.
16) فولفغانغ أيزر ، فعل القراءة، ترجمة حميد لحميداني، الجلالي الكدية، مكتبة االمناهل، المغرب، 1995.

17) محمد حسن عبد العزيز ، سوسير رائد علم اللغة الحديث، دار الفكر العربي القاهرة، مصر.
18) محمد الخضيري ، الشفاء"المنطق"، لابن سينا، تح الأب قنواتي، فؤاد الأهواني، المطبعة الأميرية القاهرة مصر، 1317هـ- 1952م.
19) مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة ،الدراسات البينيّة، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، وزارة التعليم، 1438هـ - 2017م.
20) محمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ط01، 1407هـ 1987م.
21) محمد بن محمد العمادي، أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
22) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان.
23) منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا،2001م
24) نور الدين بنخود، دليل الدراسات البينيّة العربية في اللغة والأدب والإنسانيات، مركز دراسة اللغة العربية وآدابها.

المقالات:

25)السيميولوجيا بقراءة رولان بارت ،وائل بركات،مجلة جامعة دمشق، سوريا العدد الثاني، المجلد 18، 2002م.
26) الفكر الصوتي عند ابن سينا، آمنة مالك، الآداب -مجلة أدبية فكرية محكمة تصدر عن معهد الآداب واللغة العربية، جامعة قسنطينة، العدد04، 1418هـ- 1997م.

.